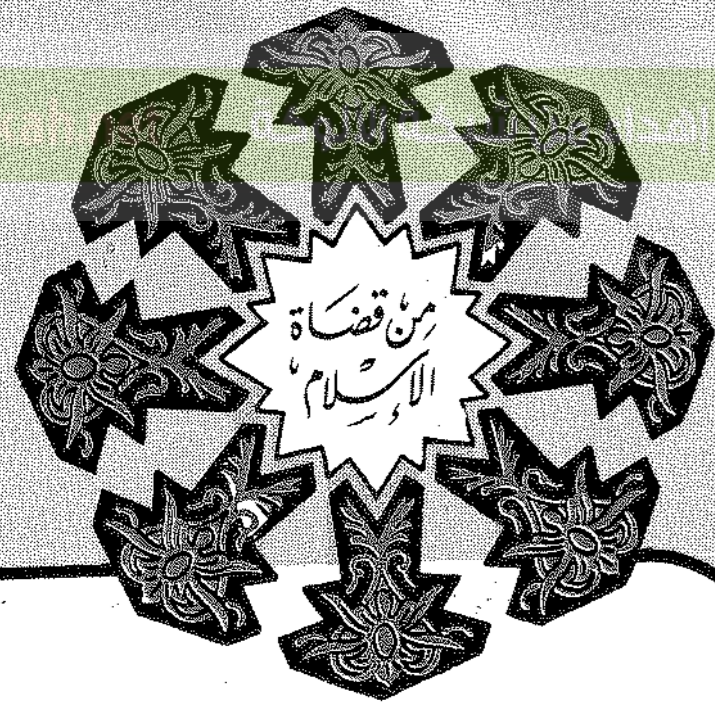


# الماوردي



للدكتور فؤاد عبد المنعم

## تمهيد :

ان قوام المجتمعات الصالحة قديما وحديثا ، أساسه العدل بين الأفراد ، وسبيله الحكم بين الناس ، وقد قيل العدل أساس الملك ، ويتحقق العدل بحسم الخصومات والمنازعات وإيصال الحقوق إلى أصحابها ، بمقتضى الأحكام الشرعية المستقاة من الكتاب والسنة ، والتشريع الصادر من ولي الأمر فيما لا يخالفهما .

وقد اهتم العلماء المسلمون ببحث شروط القاضي وكيفية تعيينه ، وانفرد الماوردي بدراسة التنظيم القضائي وتأسيسه ، وفي دراسة ذلك التنظيم ما يصل بين حاضرننا وماضينا ، وبالمقارنة بينه وبين الأنظمة الحديثة ، يتضح لنا مدى أصالة شرعنا ، وعمق تفكير مفكرينا ، ومدى اسهامهم في رقى الانسانية واسعادها .

وفي لقاء أضواء سريعة على شخصية الماوردي ما يعين على الإلمام بالتنظيم القضائي ، وما يجب أن يتصف به القاضي في نظره ، وهو السياسي البارع ، والكاتب الأديب والفقيه المجتهد ، وعمدة القضاء في عصره .

## معالم حياته :

● هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، ولد بالبصرة عام ٣٦٤ هـ — ٩٧٤ م من أسرة تنتمي إلى بيع ماء الورد .

# والنظام القضاءي في عصره

● وصل الى بغداد وتعلم بها ، وعلم فيها ، واشتغل بالقضاء في البصرة ، وبغداد ، حتى وصل الى منصب اقضى القضاة في سنة ١٢٩ هـ — ١٠٣٧ م ، وقد نتج عن اشتغاله بالقضاء أنه درس واقع حياة الناس ، ومشاكلهم ، والتعمق في دراسة الاحكام الفقهية والافادة منها في اصدار احكامه .

● كان قريبا من الخلفاء والوزراء ، وسفيرا بينهم ، وبين خصومهم السياسيين ، وقد ساعدته تلك القربى على ان يكتب في السياسة كتابات كان لها اثر كبير في الفكر السياسي الاسلامي من بعده . وكان اديبا لغويا كتب كتابات مهمة (١) في تاريخ الادب العربي ، كما كتب في الاخلاق والتربية ، كما كانت له بعض النظرات الصائبة في بعض الاحاديث ، ووثقه فيها بعض علماء الجرح والتعديل ، وكان فقيها شافعييا مجتهدا ينهج نهجا علميا يكاد يكون حديثا فيعرض لوجهات النظر المتعارضة والمختلفة في المسألة ويرجح بينها ، وينتهي لراى يرى فيه وجه الحق والصواب ، حتى انتهت اليه زعامة الشافعية في عصره .

● انفراد في تفسيره ببعض الاتجاهات التي تدل على أصالة وعمق في التفكير .

وتتميز جميع كتاباته بأسلوب واضح بليغ ينتقى الفاظه ومعانيه ، ويؤلف بينها كأنها شعر منثور .

● وكان أخلاقيا في سيرته ومعاملاته بين الناس ، وعمر طويلا فعاش ستا وثمانين سنة ومات سنة ٤٥٠ — ١٠٥٨ م ودفن ببغداد بباب حرب .



## الماوردي القاضي :

لم نجد في كتب التراجم العامة أو الخاصة بالقضاة ما يفيد كثيرا عن الماوردي كقاضٍ ، وليس إمامنا إلا ما كتبه الماوردي نفسه عن القاضي وما يشترط فيه ، ومن خلال ما كتب يمكن أن نستشف شخصية الماوردي كقاضٍ وصل إلى درجة قاضي القضاة ، ينولي تعيين وعزل القضاة ، ويتفقد أحوالهم ، ويراجع أحكامهم .

## شرط القاضي في نظر الماوردي :

يضع الماوردي مقاييس خاصة ، لا بد وأن تنطبق على كل من يتولى القضاء :

- ١ — يقصر تلك الوظيفة على الرجال دون النساء مستندا لقول الله تعالى في سورة النساء آية ٣٤ « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** » ولقول النبي صلى الله عليه وسلم « **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** » رواه البخاري والترمذي والنسائي : ص ٧ من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .
  - ٢ — أن يتوصل بذكائه إلى إيضاح ما أشكل وفصل ما أعزل وأن يكون صحيح التمييز فطنا ذكيا بعيدا عن السهو والغفلة .
  - ٣ — أن يكون حرا مسلما ويستدل بقول الله تعالى « **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** » ( الآية ١٤١ من سورة النساء ) .
  - ٤ — أن يكون عدلا ، والعدالة معتبرة في كل ولاية فيكون صادقا أميناً عفيفا عن المحارم .
  - ٥ — السلامة في السمع والبصر ليصح بهما اثبات الحقوق ، فإن كان ضريرا فولايته القضاء باطلة .
  - ٦ — أن يكون عالما بالأحكام الشرعية وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ويستدل بقول معاذ بن جبل حين أرسله النبي إلى اليمن وسأله : « **بم تحكم ؟** » قال بكتاب الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله . قال فإن لم تجد ؟ قال أجتهد رأيي . فقال : « **الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله** » ( رواه أبو داود وأحمد : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث د ٧ ص ٢٦٦ ) .
- ويجوز للقاضي أن يأخذ بأي مذهب من المذاهب تأكيدا لمعنى الاجتهاد الذي يجب أن يكون للقاضي في جميع أحكامه .

## حكم تولى القضاء بالرشوة :

أبطل الماوردى تعيين أى قاضٍ تقدم لهذه الولاية عن طريق الرشوة . لأن البازل لها والقابل لها مجروحان ، وكانت الرشوة قد انتشرت فى الدولة العباسية ، ويستند لقول النبى عليه الصلاة والسلام ( لعن الراشى والمرتشى والرئىس ) رواه ابن حبان والحاكم عن أبى هريرة — الترغيب والترهيب ٤ ص ٢٣١ كتاب القضاء .

## منع القاضى من قبول الهدية :

وليس لمن تقلد القضاء أن يقبل الهدية من خصم ولا من أحد العاملين معه . ويرى الماوردى أن الهدية إذا أخذها القاضى فعليه أن يعجل بدفع قيمتها الحقيقية لصاحبها حتى تصبح ملكه . وإن تعذر ردها أورد قيمتها : ردت لبيت مال المسلمين .

## المتخصص فى القضاء :

ومن تنظيمات الماوردى للقضاء أن تكون هناك محاكم خاصة لكل نوع من أنواع القضاء — وهو ما يطلق عليه حديثا الاختصاص النوعى — فيقول « كأن يرد الى أحدهما نوع من الأحكام وإلى الآخر غيره ، كرد المداينات الى أحدهما والمناكح الى آخر فيجوز ذلك ، ويقتصر كل واحد منهما على الحكم الخاص عن البلد كله » .

ويوجه النظر أيضا الى تكوين محاكم تمتاز بشخصيتها ، إذا تميز من يقدم إليها بنزعاتهم الخاصة « يجوز أن يكون تقليد القاضى مقصورا على بعض الأهل دونهم جميعا إذا تميزوا عن غيرهم » كما فى المحاكم العسكرية ، كما جعل لكل جهة قاضيا خاصا بتلك الجهة — ويعرف حاليا بالاختصاص المكانى — حتى لا يتحمل المدعى والمدعى عليه مشقة الانتقال من مكان الى آخر .

## سرعة الفصل فى القضايا :

ومما يلفت الانتباه اهتمام الماوردى بما نعمانيه الآن فى محاكمنا ، وهو عدم البت بسرعة فى القضايا فيقول « ليس للقاضى تأخير الخصوم إذا تنازعوا إليه الا من عذر » .



## استقلال القضاء :

وجعل الماوردي للقضاء جهازا مستقلا يسمى ( ديوان قاضي القضاة ) يختص بأمور القضاة والعاملين معهم فأصبح للقضاء استقلاله في مواجهة الخليفة والأمراء والعاملين معهم . فليس لأحدهما حق عزل القاضي ، وإنما العزل لأقضى القضاة عند ظهور الجرح أو الخيانة أو عدم ثبوت الكفاءة .

## خاتمة :

ونختتم بحثنا بفتوى للماوردي تكشف عن قوة شخصيته ، واثره في العهد العباسي الذي عاش فيه . فقد أفتى القضاة بجواز تسمية الوزير جلال الدولة ( شاهنشاه ) أي ملك الملوك ، وكان من القضاة الذين جوزوا هذه التسمية : أبو الطيب الطبري ( ٤٥٠ هـ ) والقاضي البيضاوي ( ٤٥٠ هـ ) وأبو القاسم الكوفي ، وغيرهم ، ولكن لم يوافق الماوردي على تلك التسمية . واستند الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم « ان أضع اسم عند الله . رجل تسمى ملك الأملاك ، لا ملك الأملاك الا الله » رواه الشيخان عن أبي هريرة — الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٤٠ كتاب النكاح .

وكانت توجد علاقة طيبة بينه وبين جلال الدولة ، فهو من اخص الناس قربا منه ، وكان يتردد على داره ، فامتنع عن زيارته ولزم داره . فأرسل اليه جلال الدولة وقال له : قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء مالا وجاها وقربا منا . وقد خالفتم فيما خالف هواي ، ولم تفعل ذلك الا لعدم المحابة منك واتباع الحق ، وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم ، وجعلت جزاء ذلك بأن أدخلتك الى وحدك ، وجعلت اذن الحاضرين اليك ليتحققوا عودي الى ما تحب .